HexaTimes
Delaware, United States
HexaJournal
of Educational Sciences
هكسا جورنال
العلوم التربوية

الإنسان الفاعل وفكرة المواطنة قراءة في واقع الإنسان الراهن

هشام مصباح جامعة الحاج لخضر
باتنة 1 الجزائر

hicham.philo21@gmail.com

الملخص

مما لا شك فيه أن العالم اليوم في القرن الحادي والعشرين قد عرف مجموعة كبيرة من التحولات والتغيرات العظمى التي لم يعرف لها مثيل على جميع مستويات حياته فكل شيئ خاضع لمنطق التحول والتجدد بفعل منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية التي يشهدها العالم اليوم، هذا العالم الذي أضحى يعيش أزمة إنسانية حقيقية نجدها واضحة في عدم قدرته على استغلال نتائج العلم لصالح الإنسان وخدمة مصالحه على نحو عادل، بل ما نشاهده على مسرح الحياة الإنسانية هو العكس تماما، الأمر الذي استدعى إعادة طرح العديد من الأسئلة ذات البعد الأخلاقي والإنساني على السواء.

الكلمات المفتاحية: الإنسان الفاعل، المواطنة، فلسفة الفعل، الأخلاق، العالمية، الخصوصية.

The active human being and the idea of citizenship, a reading in the current human reality

Abstract

There is no doubt that the world today in the twenty-first century has known a large group of transformations and great changes that have never been known at all levels of his life. Everything is subject to the logic of transformation and renewal due to the achievements of the scientific and technological revolution that the world is witnessing today, this world that has become He lives a real human crisis, which we find clear in his inability to exploit the results of science for the benefit of man and serve his interests in a just manner. Rather, what we see on the stage of human life is the exact opposite, which necessitated the re-posing of many questions of an ethical and human dimension alike.

Key words: the active human being, citizenship, the philosophy of action, ethics, universality, privacy.

المقدمة

إن الفلسفة اهتمام بالإنسان وقضاياه المصيرية سواء ذات الطابع الخصوصي أو الكوني، لذلك كانت السبّاقة دائما إلى البحث عن حلول لكبرى مشكلاته الراهنة وتجاوز الطرح المتعالي المثالي إلى الطرح الواقعي ضمن تجربة الإنسان المعيشة، هذه التجربة التي يمكن تسميتها بميدان الفعل وما ينجر عن ذلك من أفكار ذات علاقة مباشرة بواقع الإنسان وحياته، ففلسفة الفعل سعي جاد في طرح قضايا الوجود الإنساني للنقاش والحوار ضمن إطار فكري يتيح تجسيد مبدأ التفكير الحر الأصيل خصوصا في ظل التغيرات الكبرى التي يعرفها العالم اليوم.

إن الحديث عن الإنسان الفاعل هو حديث عن كيفية تجسيد مبدأ الوجود الأصيل بلغة هيدجر وفعل المواطنة بلغة مواطنه الألماني يورغن هابرماس، لأنه لا يمكن تجسيد فكرة الإنسان الفاعل من دون الوقوف مليًّا عند فكرة المواطنة وأبعادها المتنوعة سواء من جانبها الأخلاقي أو القيمي أو السياسي وغيرها، من هذا المنطلق سنحاول في هذه الورقة البحثية الموسومة ب الإنسان الفاعل وفكرة المواطنة قراءة في واقع الإنسان الراهن" الوقوف على المحاور الكبرى التي تطرحها فكرة الإنسان الفاعل ومن ثمة محاولة ربطها بأبعاد المواطنة في القرن الحادي والعشرين، فماذا نقصد بالإنسان الفاعل وما الدور الذي تلعبه فلسفة الفعل في التأصيل لفكرة المواطنة في ظل التحولات الرهيبة التي يعرفها العالم؟.

أولا- قراءة في فكرة الإنسان الفاعل والخطابات المتعددة حوله: تعددت الخطابات الفلسفية واختلفت وجهات نظرها في معالجة قضايا الوجود الإنسان المتنوعة والتي لا يمكن حصرها في مجال بحثي واحد، ومن ثمة فالبحث في مشكلة الإنسان هو في حقيقته بحث في تاريخ الفكر الإنساني عموماً عبر مراحله الكبرى التي كان سؤال الإنسان دومًا مرافقٌ لها وحاضرٌ في كل مطارحتها الفكرية والفلسفية بدءاً بالحضارات الشرقية القديمة التي اهتمت بقضية الإنسان من زوايا معينة تتماشى مع مميزات تلك الحقبة الزمنية والأفكار المنتشرة بين تلك المجتمعات، ولو أردنا الإشارة في عجالةٍ إلى أهم هذه الحضارات التاريخية التي تركت بصمة واضحة جلية في الفكر العالمي إلى غاية المرحلة الراهنة، الحضارة المصرية القديمة بإسهاماتها الجليلة في ميادين شتى من العلوم والمعارف لعل من أبرزها العلوم الرياضية، كما نجد أيضاً الحضارة الهندية والصينية وغيرها.

1- الارهاصات التاريخية حول فلسفة الفعل: هذه الإرهاصات التاريخية الضاربة في عمق الحضارات الإنسانية تتفق كلها على أن اللحظة اليونانية أو الاغريقية القديمة قدْ شكلتْ من دون منازع تلك اللحظة الأصيلة التي نضج فيها الفكر الإنساني وبلغَ أقصى درجات الوجود من خلال القضايا التي اهتم بها خصوصاً مع كبار الفلاسفة اليونان سقراط، أفلاطون وأرسطو أين تبلورت معهم حقيقة مشكلة الإنسان ووجوده، ومن ثمة الأسئلة الأخرى المرافقة لها في جميع مجالات الحياة الإنسانية من قبيل سؤال القيم الإنسانية والأخلاق، سؤال المعرفة الإنسانية وسؤل السياسة وغيرها من الأسئلة التي يمكن إدراجها ضمن ما يسمى بفلسفة الفعل الإنساني بمعنى عدم الاكتفاء بالجانب النظري المحض فقط، بل الاهتمام أيضاً بمشكلة الفعل الإنساني ودوره الفعّال في تغيير الأوضاع السائدة مثلما هو الحال في الفلسفة السقراطية التي دفع حياته ثمناً لها، نتيجة الاتهامات التي ألصقت به من طرف السياسيين اليونان في تلك الحقبة الزمنية، والتي تعبر بشكلٍ أو بأخر عن طبيعة الصراع الشرس بين النخبة الفكرية والفلسفية والسياسيين، ذلك الصراع الذي عبّرَ عنه غرامشي في مقولته المشهورة: لن يرضى السياسي عن المثقف أبداً" (عبد العزيز العيادي، 2007، ص 15)، وعليه فالخطاب الفلسفي حول مناحي الفعل الإنساني هو خطاب متنوع خصب مفتوحٌ على الكثير من التوجهات الفكرية والفلسفية، حيث يرتبط بميدان الأخلاق والقيم باعتبارها مجال الفعل وتقويمه، كما يرتبط بالفلسفة الوجودية بوصفها تأصيل للحظة الوجود وتجلياتها ضمن التجربة المعيشة وغيرها كثير، فلا يمكن فهم حقيقة الخطاب الفلسفي والوقوف على المحاور الكبرى التي تهتم بها فلسفة الفعل في بعدها النظري والعملي إلا من خلال ضبط مفهوم الفعل وفلسفة الفعل، ثم العلاقات التي تربطه بالحقول المعرفية الأخرى، باعتبار أن فسلفة الفعل من المفاهيم الجديدة التي لا تجد فيها الكثير من الدراسات حولها في عالمنا العربي.

إن الباحث في دلالة ومفهوم الفعل الإنساني يجد نفسه أمام مجموعة كبيرة من الدلالات المتعددة حول الفعل وارتباطه بمجالات مختلفة من الحياة، ومن ثمة ليس من اليسير ايجاد مفهومٍ واحدٍ للفعل الإنساني متفق عليه بين الجميع، فلفظ الفعل في اللسان العربي له العديد من الدلالات من أهمها ما يلي: الفعل في جانبه اللغوي عند النحاة يعني هو ما دّل على معنى في نفسهِ مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة" ونقصد بها الماضي، الحاضر والمستقبل، فالفعل أو الكلم كما يسميه الفارابي هو اللفظ الدال على المعنى وعلى زمانه أي على جملة التحولات والتغييرات التي تطرأ على الكلمة في هيئة تركيبها وتشكيل حروفها، وعلى ما يساوق تلك التغيرات من تغيرات في المعنى تبعاً للتصريفات الزمنية الأساسية الثلاثة التي هي الماضي، الحاضر والمستقبل" (عبد العزيز العيادي، 2007، ص16) وهذا لا يعني ارتباطه فقط بهذه المجالات المعرفية دون أخرى، بل له دلالات أخرى ومعاني شتى تعبر كلها عن مدى اتساع مجاله المفهومي وتنوع دلالته عند المفكرين والفلاسفة، والتي لا يمكن الإشارة إليها كلها بل نأخذ ما نحتاج إليه فقط في هذه الورقة البحثية المختصرة حول فسلفة وماهية الفعل الإنساني، أما في مفهومه الاصطلاحي فهو يختلفُ من فيلسوف إلى أخر ولا يعني الاختلاف بينهما عدم وجود تشارك يجمع بينهما، بل على العكس تماماً يشتركان في العديد من النقاط الأساسية التي تعبر حقيقة عن ماهية الفعل، فقد ورد في المعاجم العربية أن الفعل جمع فعِال وهو الدال على الإحداث الصادر عن حركة الإنسان" (فيصل صلاح الرشيدي، 2010، ص5) فالفعل إشارةٌ إلى ما يقوم به الإنسان من أفعال إرادية تعبر عن طبيعته العاقلة

وتنم عن حضور عامل الإدراك باعتبارهِ عاملاً رئيسيا في كل ما نقوم به، كما يرتبط الفعل بالوعي من حيث أنه لا فعل من دون وعي أو علم.

كما يُعرّفهُ الفارابي في ارتباطه بالأخلاق من خلال أن فعل الإنسان مرتبطٌ بالإدراك والفهم حيث يقول: " وأكمل ما تكون القوة الفكرية متى كانت إنما تستنبط أنفع الأشياء في تحصيلها، وربما كانت خيراً في الحقيقة، وربما كانت شراً، وربما كانت خيرات مظنونة أنها خيرات، فإذا كانت الأشياء التي تستنبط هي الجميلة والحسنات، وإذا كانت الغايات شروراً كانت الأشياء التي تستنبط بالقوة الفكرية شروراً وأمور قبيحة وسيئات" (فيصل صلاح الرشيدي، 2010، ص6) مميزا في ذلك بين الفعل الإنساني وغيره من الكائنات الأخرى، لأن مفهوم الفعل ينطبق على الإنسان فقط دون غيره لانفراده بالوعي والإرادة والحرية التي تفصله وتفضله عن بقية الموجودات، ومن ثمة يكون الفعل الإنساني مرادفٌ لقدرة الإنسان على الاختيار أي التمييز بين ما ينفعه وما يضره، بين الفعل الخير والفعل الشرير، فهو يرتبط بالإنسان الفاضل، حيث يقول:" جودة الرأي هو أن يكون الإنسان دو رأيٍ أو جيِّد الرأي وهو أن يكون الإنسان فاضلاً خيراً في أفعاله" (دوريندا أوترام، 2008، ص 54)بمعنى مدى العلاقة الوطيدة بين الفعل وأخلاق الإنسان، وهي الفكرة التي نجدها عند العديد من الفلاسفة قديماً وحديثاً، وهنا نستحضر تلك المقولة الشهيرة لكوندروسيه التي يقول فيها:" سوف يأتي اليوم الذي تشرق فيه الشمس على الرجال الأحرار فقط، أولئك الذين لا سيد لهم سوى عقلهم" (فريديريك وورم، 2015، صفحة ص 23)وفي هذا تأكيدٌ واضحٌ لدور العقل في توجيه الإنسان نحو الأفعال الايجابية المفيدة، فهو وحده من يملك القدرة على التغيير لذلك تم الربط بينه وبين التنوير، لأن فلسفة الفعل اهتمام بالإنسان من جميع أبعاده وجوانبه ومحاولة تسليط الضوء على المجالات

المظلمة في تاريخ الإنسان خصوصاً تلك المتعلقة بمصيره مباشرة أمام تزايد سيطرة التقنية في القرن الحادي والعشرين على كافة مجالات الحياة الإنسانية، ومن ثمة تكون الحاجة الملحة لطرح سؤال الفعل الإنساني في ظل رهانات جديدة لعل أبرزها الوباء الجديد فيروس كورونا الذي وضع البشرية على حدود نهايتها المقتربة، لأن تاريخ الأوبئة ينبؤا دوماً بالعديد من النهايات التي تأتي بعده سواء على الصعيد الاقتصادي، السياسي أو الاجتماعي وغيرها من القضايا المتصلة بكينونة الإنسان.

2- فلسفة الفعل وتجدد سؤال الإنسان: كما أشرنا سابقاً يشمل الفعل الإنساني مجموعة من الأبعاد والحقول المعرفية التي لا يمكن حصرها في مجال محدد دون أخر، بل تتضمن جميع الحقول المعرفية الأخرى ذات العلاقة المباشرة بالإنسان ووجوده، فالفعل تجسيدٌ لواقع الإنسان وحضوره في العالم يقول فريديريك وورم:" يهتم الفعل بكيفية تقليدية بكونه السلوك المختار ضمن مداولة داخلية، ضمن معرفة غاياتنا ودوافعنا، وضمن وضعية العالم بعد قرارنا نعمل على تنفيذ سيناريو الفعل المصمم بداخلنا" (فريديريك وورم، 2015، صفحة 23)، إنه تعبير عن ماهية الذات الإنسانية وحضورها الأصيل في العالم هذا الحضور النابع من صميم ذواتنا وخبراتنا المعيشة، فحتى هويتنا وحريتنا هي ذات ارتباط مباشر بما نقوم من أفعال لذلك جعل كانط من سؤال الفعل سؤالاً محورياً وجوهريا في تعريف ماهية الإنسان إلى جانب الأسئلة الأخرى، فالأفعال تشمل جميع نشاطات الإنسان الأخلاقية، الوجودية، السياسية وغيرها، ولا يمكن حصرها في مجال دون أخر:" ومن ناحية أخرى يبدو الفعل أيضا وكأنه الموضع حيث نكون مدعوون ومسؤولون أمام حاجات تتجاوزنا وتتجاوز أفعالنا، وإذا كانت مهمة الأخلاق أن تصل إليَّ وتعنيني فذلك يكون على مستوى الفعل، وإذا كان ممكنا إعطاء شكل وحياة لسياسة جديدة فذلك يكون عن طريق الفعل، وإذا استطعنا بصورة جماعية تطوير معرفتنا إلى البحث عن الحقيقة فيكون ذلك من جانب طرائق خاصة للفعل من خلال الامتثال في سلوكنا لما نسميه المنهج العلمي" (ابن منظور، 1993، ص 338)، فالفعل ربط بين ما هو واقعي والأخر المثالي، إنه ذلك التعبير عن الذات وما بداخلنا الذي يتجاوز ما هو موجود في الواقع والعالم باعتباره تجسيدٌ لسؤال الإنسان وحضوره في العالم، هذا السؤال الذي يحمل العديد من الأبعاد المتنوعة المعبّرة عن جوهر الإنسان ضمن تجربته المعيشة.

ثانيا- من الفعل إلى المواطنة: تتميز فلسفة الفعل بالعديد من الأبعاد التي تختزل الكثير من المضامين المتعلقة بالإنسان وعالمه المعيش، ولعل من أبرزها مفهوم المواطنة باعتباره من المفاهيم الجوهرية داخل الرهان الفلسفي والفكري المعاصر نتيجة القضايا الحاسمة التي يشتغل عليها ويحاول إعادة طرحها من جديد في ظل التحديات الراهنة التي يعيشها الإنسان على الصعيد العالمي والمحلي، خصوصاً بعد الثورة العلمية والمعرفية التي بلغها العلم في القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين الذي عرف تحولات كبرى شملت جميع مناحي الحياة بعد اجتماع ثلاث ثورات كبرى مع بعضها البعض وهي: الثورة الفيزيائية مع النظرية الكمومية ثم الثورة البيولوجية بعد ما حققته البيولوجيا من

منجزات في الكشف عن اسرار الكائن الحي والتحكم فيه إلى أقصى الدرجات الممكنة، ثم الأخيرة الثورة المعلوماتية بما أمدته من تقنيات في التواصل والاتصال الرقمي المتطور الذي جعل من العالم قرية صغيرة تزول فيها الحدود وتتماهى لتمتزج في ما بينها، وكل هذه المنجزات ذات علاقة غير قابلة للفصل بمجال الفعل الإنساني المتجسد في قدرة العقل البشري على تجاوز كل الحدود في النهل من نهر المعرفة بتعدد حقولها وفروعها، فالمعرفة قوة كما يقول فرنسيس بيكون، ولكن دائما السؤال المرافق لكل هذه المنجزات هو الجانب الأخلاقي والقيمي في مسار العلم وتطوراته، بعبارة أخرى الرجوع إلى السؤال الكانطي الثاني ما الذي يجبُ علياً أنْ أفعله؟ هذا السؤال الذي يعتبر من الأسئلة الكبرى والمحورية التي يدور حولها البحث الفلسفي في جميع اتجاهاته التي تقود دائما نحول سؤال الإنسان ووجوده، لذلك فالبحث في علاقة الفعل بالمواطنة هو في حقيقته بحثٌ عن المعاني الأصيلة التي تجسد قيمة الحياة الإنسانية في بعدها الكوني الشمولي العالمي بعيداً عن كل تمظهرات التمييز والعنف المصطنع بين بني البشر كما هو الحال في العالم اليوم من تطرف ديني وعنف ممنهج مسلط على الشعوب الضعيفة التي لا تملك القدرة على الفعل الحقيقي بل تنتظر ما يطلب منها إنجازه، فالمواطنة تأصيلٌ لقيم الإنسان وأبعاده المختلفة في مناحي فكرية متعددة، خصوصاً في مرحلة ما بعد الحداثة والتغيّراتِ الهامة التي عرفها العالم على جميع الأصعدة السياسية، الاقتصادية والثقافية وغيرها.

1- قراءة في مفهوم المواطنة وابعادها المتنوعة: تشير المواطنة في جانبها اللغوي مأخوذة من الوطن أي المنزل الذي يقيم فيه فهو موطن الإنسان ومحله, ويقال وطن البلد أي اتخذه وطناً, توطن البلد، وجمع الوطن أوطان بمعنى منزل إقامة الإنسان سواء ولد فيه أم لم ويولد. (محمد العدناني، 1984، صفحة 725) فالمواطنة من مصدر الفعل واطن بمعنى شارك في المكان إقامةً ومولدا على وزن فاعل. (جميل صليبا، صفحة 439)

أما في اللغة الفرنسية فهي مأخوذة من citoyenneté وفي الإنجليزية citizenchip وصيغة اسم الفاعل من الاسم مواطنة, والمواطن citoyen والإنجليزية Citizen وهي مشتقة من الفعل واطن أي عاش معهم في قوم واحد، (ناظم عبد الواحد الجاسور، 2004)فالمواطنة بهذا المعنى اللغوي تعني ضرورة وجود قوم كما جاء عند جميل صليبا, أو مجموعة من البشر تتم مواطنتهم, فهي صفة تفاعلية تقوم على تبادل التأثير والتأثر بين مجموعة من الناس, الأمر الذي يعطيها معنى العلاقة الإنسانية الاجتماعية، وهنا يبرز دور الفعل في التأصيل للعلاقة القائمة الإنسان وغيره من البشر في ظل العالم المعيش، كما تعني وجود الوطن الواحد المشترك بين هؤلاء الناس وهو ما يبرر أنها مشتقة لغويا من الوطن ,وهو ما تشير إليه دائرة المعارف البريطانية بأنها علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقات من حقوق وواجبات . (ميشان مان، 1984، صفحة ص 110)

أما المواطنة في معناها الاصطلاحي فقد وردت العديد من التعاريف حول المواطنة والتي من بينها: أن المواطنة تشير إلى التزامات متبادلة بين الأشخاص والدولة, فالشخص يحصل على حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية نتيجة انتمائه لمجتمع معين وعليه واجبات لابد من القيام بها. (سعيد عبد الحافظ، 2007، صفحة 10)

فالمواطنة علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة, وكما تتضمنه تلك العلاقة بين حقوق وواجبات في تلك الدولة, فهي تعبيرٌ عن معادلة الحقوق والواجبات بوصفه مشروع ينجزُ في التاريخ بصورة تدريجية وعبر مراحل وتتدخل في انجازه العديد من العوامل كالتربية، الثقافة، الدين، السياسة، وإشراك العديد من المؤسسات الفاعلة في المجتمع كالأسرة والمؤسسة التعليمية وغيرها (خان مالكي، 2015، صفحة 544).

2- أبعاد المواطنة وعلاقتها بخطاب الفعل الإنساني: للمواطنة العديد من الأبعاد التي تعبّرُ عن الغاية الجوهرية التي تسعى إليها المواطنة، ومن بينها يمكن التأكيد على الأبعاد التالية :

أ: البعد الفلسفي القيمي: تؤكد المواطنة بوصفها إنتاج ثقافي إنساني على المرجعية الفلسفية والقيمة, وما تتضمنه من مفاهيم كالحرية والعدل والحق والخير والمصير المشترك (خان مالكي، 2015، صفحة 544)، بوصفها مفاهيم جوهرية في حياة الإنسان وواقعه المعيش، ومن ثمة لا يمكن الاستغناء عنها مهما كانت الظروف.

ب: البعد السياسي والقانوني: يتمثل في مجموعة من القواعد والمعايير التنظيمية السلوكية داخل المجتمع والتمتع بحقوق المواطنة الكاملة كالحق في المشاركة والتدبير واتخاذ القرارات وتحمل المسؤوليات والقيام بالواجبات وحرية التعبير, والمساواة وتكافئ الفرص. (أحمد سعيفان، 2004، صفحة 377)

ويعد البعد السياسي من أهم أبعاد المواطنة لأنها تقاس بمدى إسهام الفرد في فعاليات جماعية مثل التمتع بالحقوق المدنية المرتبطة بالجنسية, وما رافقها من حقوق كحق التصويت في الانتخابات والترشح.[17]

أما البعد القانوني فيشمل الشروط والضوابط التي من شأنها أن تُكْسِبَ الفرد صفة المواطن أو العكس, فالمواطن هو ذلك المعترفِ به كمواطن على مستوى القانون. (أحمد سعيفان، 2004، صفحة 378)

ج: البعد الاجتماعي والثقافي: ويتجلى البعد الاجتماعي في الصيغة المجتمعية التي تعد مطلباً أساسيا لوجود مفهوم المواطنة أصلا, وإلا فلا مواطنة كونها حالة يضمنها العرف والقانون يحقق بموجبها أعضاء المجتمع التي تسيّرُ الشأن العام على قدم المساواة وفي كنف الحرية (بوكار صالح، 2011، صفحة 30).

د: البعد الاقتصادي: يعد البعد الاقتصادي من أهم نتائج الحياة الاجتماعية كونه الذي يحدد علاقة الفرد بالمجتمع وبالدولة, فالمواطن هو الذي يتمتع بملكية محددة ويساهم في موازنة الدولة ضمن شروط معينة, ولهذا كان أداء الضرائب معياراً مهماً لتحديد المواطنة من عدمها بين الأشخاص، فهناك واجبات تناط بالمواطنين مثل دفع الضرائب والدفاع عن وطنهم . (ابراهيم مجديلية، 2018، صفحة ص3)

فمن خلال هذه الأبعاد المتعددة للمواطنة باعتبارها تجلٍ لقيمة الإنسان وحضوره الفعّال في العالم تتضح معالم فلسفة الفعل التي من بين أهم مبادئها الأساسية الدفاع عن كرامة الإنسان وقيمته، والتأسيس لفلسفة تواصلية مبنية على ضرورة فتح المجال للإنسان مهما كانت جنسيته أو عرقه أو لونه بالتواصل مع غيره من البشر، والتمتع بنفس الحقوق التي تكفل له حق التنقل وممارسة حرية التفكير والعقيدة في كل مكان من العالم في ظل التحولات الكبرى التي عرفها العالم في القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين.

3- الواقع العربي والبحث عن مقومات التأسيس لفلسفة الفعل: مما لا شك فيه أن كل حديث عن فلسفة الإنسان وأبعاده المتنوعة سيبقى ناقصاً مالم يتم ربطه بمجال الفعل الإنساني، لأنه وحده من يعطيه معنى لوجوده، لذلك كانت فلسفة الفعل بمثابة التأسيس الحقيقي الذي يدور حول أنثروبولوجيا الإنسان المفكر والفاعل في الوقت ذاته، ذلك الكائن الذي يتمتع بالحرية والإرادة ويسعى دوماً نحو تجاوز واقعه إلى واقع جديد أفضل خصوصاً في واقعنا العربي الجريح الذي مازال يعيش التشتت والتفكك والضياع بين واقع سياسي فرض عليه وجعله يعيش في دوامة من الصراع المتجدد بين مختلف دوله، حيث وجد الإنسان العربي المعاصر نفسه مفصولا بين واقعه ومجال تفكيره الذي أصبح مقيداً إلى أقصى الدرجات، ومن ثمة ضرورة العودة إلى سؤال الإنسان دائماً باعتباره سؤالاً محوريا وجوهرياً داخل منظومة القيم الإنسانية وحضوره الفعّال في العالم، وهي الرؤية التي قدمها حسان الباهي في كتابه: فلسفة الفعل يقول:" فلسفة الفعل نظرية مشتركة بين مباحث فلسفية وأخلاقية واجتماعية وقانونية، وغيرها من المباحث التي ساهمت في طرح قضايا تخص الأفعال الإنسانية" (ابراهيم مجديلية، 2018، صفحة 4) فالفعل يستوجب ضرورة توفر مجموعة من الشروط حتى يتجسد على أرض الواقع ومن بينها الحرية والمسؤولية، لأنه لا يمكن تصور وجود فعل من دون حرية وقصد تجاه الفعل، كما يقتضي أيضاً وجود فاعل يقول ابراهيم مجيديلة:" ويتم للفاعل انجاز فعله متى كان عالماً بما يفعل، ومريداً له وعازماً وقاصداً له، فالفعل بنية قصدية تستدمج داخلها الأهداف التي يراد تحقيقها والوسائل المعتمدة لذلك، ويؤدي الفعل دور الكاشف للذات أمام الأخر، وكأن الفعل يخبر عن النوايا الداخلية للفاعل، ويكشف عن حالاته الذهنية ومقاصده، وهذا ما يتيح للأخر أن يصير شاهداً على الذات، ومصدراً للحكم عليها فالفعل مرآة كاشفةٌ للذات معبّرة عن نواياها ومقاصدها (ابراهيم مجديلية، 2018)"، وعليه يتضمن الفعل العديد من المحددات من دونها يصبح لا معنى له وغير قابل للتحقق واقعياً، ومن ثمة يكون الإنسان وحده الكائن المتفرد بالفعل فهو الفاعل ولا أحد غيره،" فالإنسان من منظور فلسفة الفعل كائن فاعل أو وجود فاعل، فوجوده لا يتحقق إلا بمقدار ما يتركه من أثر في العالم أو ما يحدث فيه من تغيير، وليس الفعل أثراً أو حدثاً فارغاً وإنما هو إنجاز واع وقصدي يصل الذات بالعالم والأخرين ..." (ابراهيم مجديلية، 2018) ، وعليه فإن المفهوم والمحتوى الأساسي للمواطنة نابع من مبدأ الانتماء الوطني الذي يتشكل نتيجة التربية المواطنية والقدرة على المشاركة الفعالة في الحكم، والشعور بالإنصاف والعدل والمساواة (ياسين محمد حمد العيثاوي، 2004، صفحة 243)، لذلك تقوم المواطنة

على اساسين مهمين هما: المشاركة في الحكم والمساواة بين جميع المواطنين (ياسين محمد حمد العيثاوي، 2004، صفحة 244)، فالمواطنة من دون أي شك إلمام وإحاطة بمجموعة من القيم الأخلاقية ذات العلاقة الوطيدة بسؤال الإنسان الراهن وبكل مناحي حياته مند اللحظات الأولى التي يكتسب فيها صفة الانتماء والهوية إلى المجتمع والوطن ثم إلى العالم الكوني ككل (حسين علي رهف، 2022، صفحة 84)

خاتمة: ما يمكن التأكيد عليه في النهاية أن فلسفة الفعل من المسائل المهمة داخل الحقل الفلسفي والدراسات الإنسانية، فهي من الفروع المعرفية المعاصرة التي لا نجد فيها دراسات كثيرة في عالمنا العربي كونها تتداخل مع العديد من المقاربات الفكرية الأخرى ذات الصلة المباشرة بالفعل الإنساني وتاريخ الوعي الخاص به في طابعه العالمي أو العربي، ومن ثمة يعد تجدد البحث في سؤال الفعل هو في حقيقته عودة إلى سؤال الإنسان والمطارحات المتعددة حوله سواءٌ في بعده الفردي باعتباره ذات مفكرة عاقلة متميزة بالوعي، أو في بعدهُ الاجتماعي انطلاقا من العلاقات المتنوعة التي ينسجها مع غيره من الأفراد.

من هذا المنطلق يبقى سؤال الفعل الإنساني مفتوحاً على العديد من الآراء والأفكار التي تدور جميعها حول السؤال الرابع المؤسس للأنثروبولوجيا الخاصة بالألماني كانط التي صاغها في سؤاله المشهور ما الإنسان؟، والذي سبقته ثلاثة أسئلة محورية هي سؤال المعرفة، وسؤال الفعل في الأخلاق، وسؤال الدين تحت عنوان الأمل والرجاء التي تقود جميعها نحو الإنسان وعالمه المعيش.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- سورة البقرة، الأية،256.
2- سورة النساء، الآية،83.
3- سورة الشورى، الآية، 38.
4- سورة أل عمران، الآية، 159.

المصادر والمراجع

1- ابراهيم مجيديلة، أنثروبولوجيا الإنسان الفاعل: الكائن البشري من منظور فلسفة الفعل، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ديسمبر 2018.
2- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1993.
3- أحمد سعيفان، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، مكتبة لبنان، ناشرون، ط2004،1.
4- أسعد مفرج وآخرون، موسوعة علم السياسة، ج24، دار النشر Nobilis، بيروت، د ط,2006.
5- العادلي حسين درويش، المواطنة، دار المرتضي، بغداد، 2006.
6- بوكار صالح، اطيقا المواطنة في فلسفة أرسطو، إشراف أنور حمادي، مذكرة ماجستير، جامعة وهران،2011، 2012.
7- جميل صليبا، المعجم الفلسفي،ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
8- خالدي محمد، تمثلات المثقف للمواطنة في الجزائر، إشراف بلخضر مزوار، رسالة دكتوراه، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان،2016،2015
.
9- خان مالكي، حنان مراد، أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، عدد خاص مجلة ورقلة.
10- دوريندا أوترام، ما التنوير؟، ترجمة ماجد موريس ابراهيم، دار الفارابي، 2008، بيروت لبنان.
11- ديريك هيتر، تاريخ موجز للمواطنة، ترجمة أصف ناصر ومكرم خليل، دار الساقي، بيروت ،لبنان، 2007.
12- سامح فوزي، المواطنة، سلسة تعليم حقوق الإنسان، الطبعة الأولى،2007، مركز القاهرة.
13- عبد العزيز العيادي، فلسفة الفعل، مكتبة علاء الدين، صفاقس تونس، 2007.
14- علي خليفة الكواري، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، المستقبل العربي، العدد 264و بيروت، مركز دراسات الوحدة العربي، فيفري،2001.
15- فريدريك وورم، الفلسفة في مئة كلمة، ترجمة محمد جديدي، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، 2015.
16- فيصل صلاح الرشيدي، نظرية الفعل الإنساني في فسلفة الفارابي، جامعة المرقب، ليبيا، 2009-2010.
17- قصير مهدي، مفهوم المواطنة في المدرسة الجزائرية، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران،2015-2016.
18- ماري لويزا برنيري, المدينة الفاضلة عبر التاريخ, ت, عطيات أبو السعود, الكويت, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب,1997.
19- محمد العدناني , معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة, مكتبة لبنان, بيروت, 1984.
20- ميشان مان, موسوعة العلوم الاجتماعية, ت, عادل الهواري وسعد مصلوح, مكتبة الفلاح,1984.
21- ناصر إبراهيم, أصول التربية, الوعي الإنساني, مكتبة الرائد العلمية, الأردن,2004.
22- ناظم عبد الواحد الجاسور, موسوعة علم السياسة, دار مجدلاوي للنشر والتوزيع, عمان , الأردن, ط1, 2004.
23-سعيد عبد الحافظ, المواطنة حقوق وواجبات, مركز ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية, القاهرة 2007.
24-يوسف كرم, تاريخ الفلسفة اليونانية , ج1, القاهرة, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, 1936.

24- ياسين محمد حمد العيثاوي، المواطنة في ظل العولمة، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، المجلد 21، العدد35-36، 204، الصفحات 243-270.
26- حسين علي رهيف، دليل مقترح لمدرّسي اللغة العربية لتدريس طلبة الصف الثاني المتوسط قيم المواطنة المتضمنة في محتوى كتاب اللغة العربية، مجلة معين، المجلد27 ، العدد 6، الصفحات 47-84.

.